نظرات في تأصيلات

في هذه المجلة الغراء (من المجلد ٢٣ ص ١٦١ الى المجلد ٢٥ ص ١٧٨) منشورة تباعاً رسالة عنوانها « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » ، بقلم غبطة البطريرك افرام برصوم . وقد التمسنا فريق من الزملاء والأصدقاء في سورية والعراق ولبنان ، ان نبدي فيها رأينا . فلم نجد متنحاً عن النزول عند رغبتهم ، فوضعنا مقالة حوت ما عنّ لنا ابداؤه من الملاحظات ، لا كلفاً بالجدال العقيم ، بل سعياً وراء الحقيقة ؛ ولا سيما لوجودنا في هذا الظرف فرصة مناسبة لمتابعة خدمة المعجمية العربية ، على ضوء الثنائية ، وطبقاً لطريقة المقارنة الألسنيّة الساميّة .

ولوفرة الألفاظ المحققة في هذه المقالة ، جاوز طولها الحد المتوقع . فرأينا الآن ان نقتضب منها طائفة من النماذج ، لنوقف عليها قراء المجلة ، فنستهل الكلام بتقديم بعض الملاحظات العامة .

١) مع اقرارنا بفضل اللغويين الأقدمين ، لا يسعنا الاطمئنان الى اقوالهم ، ليس حين تمحلهم اثبات عربية كلمة من الكلمات وهي ليست عربية ، بل حتى عند زعمهم دخيلتها وهي عربية . ذلك لأنهم لم يكونوا من أهل التخصص في « علم التأصيل » على حد تعبيرنا العصري ، لجهلهم غالباً اللغات غير العربية .

٢) من العلوم العصرية التي نشأت على يد أرباب البحث في الديار الغربية ، « علم المقارنة » الذي طبقوا أصوله على شتى الفروع العلمية . فهناك اليوم علوم مقارنة الفلسفات ، والشرائع ، والآداب ، واللغات . ومن ذلك فرع « المقارنة الألسنيّة الساميّة » . فلم يعد كافياً للتقصي عن أصول الألفاظ العربية ، أو السريانية ، او العبرية ، ان يكون الباحث متضلعاً من واحد أو اثنين من هذه الألسن ، بل أن يكون واقفاً على قواعد وخواص كل الساميّات الأمهات ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما يرجع الى كل واحدة منها من اللهجات ، فضلاً عن معرفة بعض الألسنة غير الساميّة التي لها علاقة بالعربية او غيرها من الساميات الأخر .

٣) ان «علم التأصيل» غير قائم على الاشارة الى ان كلمة من الكلمات مستعملة في اللغة الفلانية ، بل على الارتقاء الى اللغة الينبوع الصادرة منها اللفظة المذكورة . وغير كافٍ الوقوف عند اللسان القناة المارة فيه تلك المفردة . فان ادعى احد الباحثين ان هذا الحرف سرياني دخيل في العربية ، وظهر بالتقصي انه ليس بسرياني بل « مُسَرْيَن » ، ودخيل من اليونانية ، او الفارسية ، او الاكدية ، او العبرية ، فلا يجوز ، اذ ذاك ، القول بسريانيته ، وهو غير سرياني ، اذ قد يكون دخيلاً في كلا اللغتين من لسان ثالث . مثال ذلك الألفاظ التالية الواردة في السريانية والعربية معاً : « فردوس Pardaysà ـ بستان Bustànà ـ باذنجان Pàdingânà ـ اسطوانة Estùnà ـ ابنوس Abànùsà ـ إسفين Esfînà ـ بدوي Badawàyà ـ كعبة : كَعِبَتا » . فهل من المعقول الذهاب الى ان كل هذه الكلمات سريانية دخيلة في العربية ، في حين ان التفحص يثبت لنا ان الأربع الأول منها هي فارسية ، وان « ابنوس واسفين » من اليونانية ، وان « البدوي والكعبة » من العربية ذاتها ؟

(راجع معجم Steingass الفارسي ـ الانكليزي ، ص ٩١٧ ، ٢٨٥ ، ١٤٠ ، ٢٥٦ ـ ومعجم Pillon اليوناني ـ الفرنسي ، ص ٣٧٤ و ١٣٠) .

٤) من باب التقييد . لا يراد بالسريانية الاّ اللهجة الرهَويّة . اما الارميات الأخر ، كالارمية الكتابية ، والمندائية ، والفلسطينية ، والترجومية ، والتلمودية ، فهي غير السريانية ، وان كنّ معها من فصيلة واحدة ، وهي الارمية . أما الاكدية ، فهي لغة قائمة بذاتها ، وغير داخلة في عداد الارميات ، لتكوينها فرع الساميّة الشرقية . وقد دعاها العلماء العصريون « اكّديّة » نسبةً الى مدينة «اكّد» العريقة في القدم والتي كانت واقعة في جنوب العراق . وهذه اللغة تشمل اللهجتين « البابلية والاشورية » اللتين هما فرعاها الجنوبي والشمالي .

***

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ا) ثَب ، وثَب (المجلة ، المجلد ٢٣ ص ٣٣٩)

بمناسبة تحقيق هاتين اللفظتين ، نلخص بعض مبادئ الثنائية . فمن نتائج هذه النظرية ان المثال والأجوف والناقص ما هي سوى مزيدات ، أو توسّعات في « الرسّ الثنائي » الذي يجري فيه اول التوسّع بتشديد الحرف الثاني منه . من ذلك ان « وثب » مزيد في الثنائي « ثبْ » وان « قام » هو الثنائي « قَمْ » . اشبعت حركة حرفه الأول . ممّا يظهر في السريانية في كلمة Qâm ، اذ لا الف مفحمة فيها ؛ ومن الكتابة العربية القديمة المتجلية في رسم المصحف المحافظ عليه حتى اليوم . اذ لا نجد فيه « قام » ، بل « قم » . وكذلك كل الفتحات المشبعة لا يرتسم معها ألف . ويبين ذلك أيضاً في مجرى التصريف الذي ان هو إلاّ رَسّ الكلمة ملحقة به الضمائر . فيقال « قُمْ » تُ ، « قُمْ » تَ ، « قُمْ » تِ ، « قُمْ » تُم ، « قُمْ » نا ، الخ . مما جاء دليلاً واضحاً على ان الأصل هو الثنائي ، وان هذا الثنائي يدل على معنى تام في حالته الثنائية . وكذا الشأن في الناقص ، فان لامه ليست حرفاً ، بل اطالة او اشباع الفتحة السابقة . مثلاً « رمَى » هو الثنائي « رَمْ » حُرّك حرفه الثاني بفتحة مشبعة ، علامتها في الرسم الف . كقولك « رَمى » او بفتحة مطبقة ، عند التصريف نحو « رَمَ » تْ هي ، « رَمَ » تاهما ، الخ .

أما المضاعف فهو بالحقيقة مركّب من حرفين . ويظهر ذلك في المضاعف الرباعي الذي ما هو سوى ثنائيين مكرّرين . مثلاً « قَرْقَرْ » ، « خَرْخَرْ » ، « دَبْدَبْ » ، « مَرْمَرْ » ، « لَعْلَعْ » ، « لَأْلَأْ » الخ ومن هذه المادة أشيء وافر في اللغات السامية ولهجاتها . وقد جمعنا منها ٣٥٠ في العربية الفصحى وحدها . ويوجد اكثر منها في اللهجات . وما هذه الأفعال واسماؤها الاّ حكاية اصوات الطبيعة والحيوانات المندفعة الى تكرار مقاطع ، ولا حروف . وكل مقطع مركب من حرفين متحرك فساكن . مما هو وارد على هذا النمط في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اللغات الساميّة الباقية . كالسريانية مثلاً نجد فيها « زَلْزَلْ » ، « بَلْبَلْ » ، وما شاكل ذلك ، وكذا الحال في اللهجات العربية . اما الفصحى فالفتحة الواقعة في آخر الثنائي الثاني ، كما في آخر الأفعال السالمة ، داعي وجودها هو الأصل . ولذا فعوض ان يقال « خَرْخَرْ الماءُ » قيل « خَرْخَرَ الماءُ » وبدل « قَتَلْ الرَجلُ » قيل في الوصل « قتلَ الرجلُ » . وبعد ذلك بقيت الفتحة في غير حال الوصل . وأنت ترى ان الطبيعة عينها ميّالة الى الثنائية ، ولا الى « الأُحادية » ، كما يمكن التوهم ان الانسان الأول بدأ يتكلم بحروف منفصلة ، لأن الحروف المنفصلة لا وجود لها في جدول الأبجدية ، أي في الكتابة ، ولا في اللفظ . والسبب ان أعضاء النطق عينها لا تخرج للتكلم حروفاً صامتة متفرقة ، بل مقاطع مركبة من الصامتات تحركها الصائتات .

ومن الأدلة على وجود الثنائي في أصل اللغات ، ولا سيما السامية منها ، هو ان المضاعف العربي . الذي يقال انه مركب من ثلاثة أحرف اصلية ، لا نجده في السريانية الاّ بحرفين اثنين لا اكثر ، مثلاً مقابل « حَمَّ » العربية نرى في السريانية « حَمْ » ، وبازاء « مَصَّ » ، « مَصْ » ؛ وبحذاء « مَسَّ » ، « مَشْ » . وهكذا في كل المضاعفات التي هي بالحقيقة « ثنائيات » . والثنائي وارد في كل الساميات متصفاً بمعنى حقيقي وتام .

ولنا برهان حسيّ جليّ على وجود الثنائي في أصل اللغة يستخرج من العناصر الأولية للغة العربية ، وهي اسماء الأصوات ، ودعاء الحيونات او زجرها ، وبعض اسماء الأفعال . فهي ثنائية ، ومنها كان بدء المضاعف ومكرره . دونك الألفاظ التالية على سبيل المثال . اذ منها في اللغة شيء كثار : « أفْ » : كلمة تكرّه وتضجّر . (لسان ١٠ – ٣٤٩) ، و « أهْ » كلمة توجع . (بستان ٧٨) ، و « بَهْ » و « بَخْ » : كلتان تقالان عند استعظام الشيء . (بستان ١٩٨) و « غَسْ » : كلمة زجر للهر (لسان ٨ – ٣٤) . و « ضَعْ » : اسم صوت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يزجر به الجمل حين ترويضه (شر ٦٨٤) و « بِسْ » : دعاء وزجر للغنم وغيرها (بستان ١٤٣) ، و « صَهْ » : أمر بالسكوت (شر ٦٦٦) و « مَهْ » : امر بالكف (بستان ٢٣١٣) . فمن هذه الثنائيات وغيرها صيغ افعال ، إما بتحريك الحرف الساكن وتشديده ، واما بتكرار الثنائي ذاته وتحريك الآخر . فقيل « أفَّ » ، و « أهَّ » ، و « بَهَّ » ، و « بَخَّ » ، و « غَسَّ » ، و « ضعَّ » ، و « بَسَّ » ، و « صَهْصَهَ » ، و « مَهْمَهَ » . وكذا القول في « ثَبَّ » ، فانه مشتق من « ثَبْ » ومنه المكرر « ثَبْ ثَبْ » (لسان ١ – ٢٢٨) .

أما « وَثَبَ » فهو « ثَبْ » ، زيدت فيه الواو تتويجاً ، فحصل من ذلك ما يدعى في الصرف « مثالاً » . ولاحظ كيف تجري الزيادة في « ثَبْ » و « ثَب » ، اي باضافة حرف مع بقاء اللحمة المعنوية بين المجرد والمزيد ، وهي بالحقيقة مستمرة بينهما . اذ ان « ثَبْ » يراد به الجلوس بتمكن (بستان ٢٥٨) . و « وَثَب » بمعنى القعود ، في لغة حمير ، ويدل أيضاً على النهوض وحتى على الطفر . (لسان ٢ – ٢٩١) . على ان هذا التضاد يزول ، اذا عرفت ان الثنائي « ثَبْ » متضمّن معنى علماً هو نحوى « الحركة » التي هي أساس هذه المداليل المختلفة ، لا بل المتضادة ظاهرياً . فعند فريق ، او قبيلة من القبائل ، دلّ الفعل على القعود ، لأن في القعود حركة . وعند قبيلة اخرى ، اطلق الفعل على القيام ، والقفز ، لأن في كل ذلك كامن المدلول العام . وهو « الحركة » .

أما القول « وهو قول الأستاذ أ . غليوم ، المستعرب الانكليزي (مجلة المجمع العلمي م : ٢٤ ص ١٤٩) بان « مَن وثَبَ هو بمنزلة من جلس في الهواء » ، فهو من المعاني التي لم تكن لتخطر في بال العرب حين وضعوا كلمة « وثَبَ » ، لحسبان مثل هذا الحادث ، عصر ذاك ، من « خوارق الأنبياء » . بيد انه يفهم في عصرنا الذي تمكن فيه الانسان من ان يجلس نوعاً من الجلوس في الهواء ، اعني بركوبه الطائرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما يجدر بلفت النظر في هذه «رسالة الألفاظ السريانية» انه مقابل «ثَبَّ» العربية وارد فيها لفظ Yithèb السرياني . ومعناه «وَثَبَ، جلس، قعد» . (منا ٣١٩) . مما ينجم عنه بوضوح ان «الرَسّ الثنائي» هو «ثَبْ» . فتوسّع بالزيادة بطرق مختلفة، مع استمرار الصلة المعنوية بينه وبين مزيداته، اي «فحوى الحركة» أولاً في العربية، بتضعيف حرفه الثاني، فجاء منه «ثَبَّ»، ثم باضافة «واو» تتويجاً، في العربية ذاتها، فصدر عن ذلك فعل «وَثَبَ» . ثم بزيادة «ياء» بالتتويج أيضاً في السريانية . فنشأ فعل Yithèb وكذلك زيدت «الياء» بعين الطريقة، في العبرية Yâshab، وفي الارمية Yethèb (Brown 442) . ونجد في الحبشية Awsaba، كما في العربية . اي باضافة «واو» (Dil 903) اما الاكدية فوارد فيها Ashâbu و Washâbu، اي باضافة «واو» أيضاً كالعربية والحبشية (Bezold 72) .

وأنت ترى ان هذه «رسالة الألفاظ السريانية» تفترض وجود الثنائية دون شعور وقصد منها .

وهنا أود أن أسأل : ما هو قول حضرة الأستاذ المغربي في كل هذه الأدلة والأمثال الواردة في هذه الأبحاث ؟ فها انا ذا حسب رغبته، استفز مستنزلاً الى ميدان البحث وتبادل الأفكار، كل من تلذ لهم هذه الدروس . لأنه باحتكاك الآراء يبرق وميض الحقيقة .

* * *

ب) اصل كلمة «بيعة» (م — ج ٢٣ ص ٣٣٠)

يقول «مؤلف الرسالة» : «اجمع علماء السريانيين ان البيعة عبرية الأصل، اشتقّت من حرف «عيدا» اي العيد، وهو عبراني ارامي» فيحق لنا أن نسأل : من هم هؤلاء العلماء الذين أجمعوا هذا الاجماع ؟ فلو ذكر اسم واحد منهم،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

او اتى بشاهد نَصِّيّ واحد يدعم هذا القول ، لكان ذلك طبقاً للأساليب المرعية في البحث ، ولأرضى أرباب التحقيق الذين يحقّ لهم المطالبة بالنصوص ، ليكونوا على بينة وثقة مما يبسط لهم من الآراء . بيد انه ان ضنّ علينا المؤلف بالشواهد السريانية ، مع اكثاره ، بل افراطه في سرد المراجع العربية ، فنحن نعرف ما هو رأي المؤلفين السريان في ذا الشأن من معاجم هذه اللغة التي بين يدينا ، ففريق من أربابها يزعمون ان اصل « عِدّتا » السريانية من كلمة « عِيد » المشتقة من « عُودْ » . غير ان الأصوب هو صدور هذه اللفظة السريانية من « عَيْدَه » العبرية ، ومعناها : المحفل والجماعة . وهي مشتقة ، لا من « عُود » الأجوف ، بل من « يَاعد » المثال اليائي ، الذي ينظر اليه في العربية فعل « وعَد » ولا يقابله فعل مجرد من هذه المادة في السريانية . لأننا لا نجد فيها سوى الاسم « وَعْدَا » (منّا ١٨٣) . ومعلوم ان الهاء في « عَيدَه » تقلب تاء عند الاضافة في العبرية (معجم Gesenius ٦٠٤ ي) مثلاً : « عَيدَتْ امرائيل » اي « جماعة اسرائيل » ، كما نلفي في العربية الكلمات التالية « عِدة » من المثال الواوي « وعَدَ » ، وكذلك اخواتها « ثِقة من وثِق ، وسِمة ، من وسم ؛ وتِدَة ، من وتد ؛ وتِرة ، من وتر ؛ وثِبة ، من وثب ؛ وحِدة ، من وحد » . وهذه التاء عوض الواو الساقطة ، حسب قول الصرفيين . فأصل « عَيدَه » أو « عَيدَتْ » هو « يَعْدَه أو يَعْدَتْ » . كما ان اصل « عِدّتا » السريانية هو « وَعِدّتا » ، حسبما أشار الى ذلك القرداحي بقوله « ان التاء في « عِدّتا » هي عوضٌ من الواو المحذوفة من وعد . (اللباب للقرداحي ١ — ٣٢٦) . وهذا المؤلف هو الذي ، خلافاً لغيره من اهل المعاجم السريانية ، اورد كلمة « عِدّتا » في مادة « وَعْدَا » ، للدلالة على انها من المثال : كما ان Gesenius وضع لفظة « عَيدَه أو عَيدَتْ » في مادة « يَاعَدَ » . ولا في مادة « عُوْد » ، في معجمه العبري ـ اللاتيني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما من جهة التركيب او النحت الذي يفترضه المؤلف ، وهو « بيت عِدّتا » ، وان منه صدرت « بيعة » ، فنرى فيه تعسفاً صارخاً . لأننا لم نجد في المعاجم « بيت عدّتا أو عِيدَا » ، في حين اننا وقعنا على مركبات من هذا القبيل ، مثلاً « بيت سِجدّتا » و « بيت صَلُوتا » و « بيت تِشْمِشْتا » (معجم بروكلمن السرياني ٧٠ ي) . وكلها بمعنى كنيسة . ولهذا لا نظن محتملاً اشتقاق « بيعة » من « عِيدَا او بيت عِدْتا » بهذا التركيب او النحت الغريب .

اذن ما هو اصل « بيعة » ؟ اننا ، والحق يقال ، لم نقف حتى الآن على تأصيلها لأحد من المؤلفين السريان ، او العبريين ، او العرب . أجل ان هناك مرادفاً « لبيعة » في العربية ؛ وهو « كنيسة » ، معرب « كْنِيشتا » السريانية (Payne - Smith 1775) أو « كِنِيسَيْتْ » العبرية (الماخ ٧١٥) . وعليه نبسط للباحثين في أصول الألفاظ رأياً لا علم لنا بان أحداً من المؤصلين (étymoligistes) ارتآه . فنبديه مؤيداً بادلة احتمالية ، ولا سيما لأن المادة « باع » الواوي واليائي ، لا تمت كلمة « بيعة » اليها بصلة او لحمة معنوية .

نورد ، بادئ بدء ، مثالاً من العربية ذاتها . هناك لفظة « قبة » يراد بها أولاً الخيمة المستديرة المقعّر سقفها . والمصنوعة من الادم او غيره . من ذلك « قبّة الشهادة » عند اليهود : خيمة كتّان كان يغطّى بها تابوت العهد . من ذلك أيضاً « قبة نجران » كانت قبة مشهورة يضرب بها المثل . وكانت مصنوعة ، حسبما يقال ، من ثلثمئة قطعة من جلد . وكانت تسع الف شخص . وكان العرب يدعونها « كعبة نجران » . لأنهم كانوا يقصدونها للزيارة ، كما يقصدون الكعبة . ويخبرنا ياقوت الحموي ان هذه القبة او الكعبة كانت « بيعة » بناها بنو عبد المدان (معجم البلدان ٤ — ٧٥٦) ثم أطلق اسم « قبّة » على كل بناء مقعّر السقف مستديره معقود بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة . ثم شمل كل مقام او مشهد يحوي قبر أحد الأولياء ، أو غرضاً مقدساً ، من ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« قبة الصخرة » في الحرم الشريف القدسي (راجع اللسان ٢ — ١٥٣ ؛ وأقرب الموارد للشرتوني ٩٥٧ ، ومعجم دوزي ٢ — ٢٩٩) .

فاذا كان الأمر كذلك ، نقول : في السريانية واردة مفردة « بِيعْتَا » ، وتدل في اصل وضعها على « البيضة » . لكن يعنى بهـا أيضاً كل بناء مقبَّب بشكل البيضة . وفي العربية عينهـا يطلق لفظ « البيضة » على « الخوذة » ، لهيئتها البيضيّة .

فكما ان « القبَّة » تدل في العربية على البناء المقعَّر السقف . ولا سيما البناء المقدس — فورد من ذلك « قبّة الصخرة » و « قبة نجران » — وهما مسجد وكنيسة — فمن باب المقايسة يسوغ لنا القول بان المعابد ، او المقادس ، او الكنائس ، سميت وقتاً ما ، عند السريان باسم « بِيعْتَا » ؛ لأنها كانت مقبَّبة على شكل « بيضة » . ومن هذه اللفظة جاءت كلمة « بيعة » دخيلة في العربية .

ودونك ماورد في معجم المطران اودو الكلداني (١ — ٧٤) : « بِيعْتَا » لها جمعان : الأول « بَيعَي » ، والثاني « بِيعَاثَا » . فالجمع « بَيعَي » يستعمل غالباً للدلالة على بيض الحيوانات . أما الجمع « بِيعَاثَا » فيطلق على كل ما يشبه البيض ، كالقبة وغيرها » .

ولنا نص يدل على ان كلمة « بيعة » يرادبها ، المقدس او بيت العبادة ، وهو شعر جرير الذي أورده الأستاذ انغليوم في مجلة المجمع العربي (م ٢٤ ص ١٤٩) وهو:

يمشي بهـا البقر الموشى اكرعه مشي الهرابذ حجُّوا « بيعة » الزون

وعليه يمكن جعل « البيعة والقبة » مترادفين يجوز اطلاقهما على المقدس او بيت الاجتماع للصلاة والعبادة ، وهكذا تكون لفظة « البيعة » كلمة واحدة ، غير مركبة او منحوتة نحتاً متعسِّفاً ، ودخيلة من السريانية في العربية .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ت) التاميذ (م – ج ٢٣ ص ٣٣٦)

نكرّر هنا ان « الألسنيّة الساميّة » غير متوقفة على البحث في لغة واحدة من الساميّات ، بل في جميعها ، مع ما يلحق بها من اللهجات ؛ ثم على اعتبار هذا المجموع كلغة واحدة قد تفرّقت خواصّها واسرارها في مختلف اللغات الاخوات . ولذا وجب الاستعانة تارةً بميزات الواحدة لفائدة الأخرى ، وطوراً السعي في انارة الغامض في هذه بما هو واضح وصريح في تلك . فلا يكفي ، والحالة هذه ، وضع اصول الساميات البواقي بازاء المادة العربية ـ كما الأمر جارٍ في بعض المعاجم العبرية العصرية ، في الديار الغربية ، وهو على ما يظهر المقصود تحقيقه في معجم المجمع اللغوي المصري ـ لأن مثل هذا العمل ، مع ما فيه من الجودة ، لا يلقي على المواد المبحوثة الاّ نوراً ضئيلاً ، ولا يأتي الاّ بفائدة جزئية ، لعجزه عن ايضاح التناسق المعنوي المنطقي ، وازالة التضارب والتنافر الظاهر ليس بين المعاني العربية فحسب ، بل بين مداليلها ومداليل اخواتها الساميّة الأخر .

أما نحن ـ فمع تمنينا النجاح لكل من يسعى في خدمة العربية ـ نعتمد ، في بحوثنا المعجمية المنشورة في الكتب والمجلات ، على التنسيق والتعليل ، بدءًا من « الرَس الثنائي » ، مصدر كل الدلالات المتطوّرة أثناء سيرها في سبيل الاشتقاق . وهذا ما صنعه كبير المستشرقين Gesenius في المعجم العبري ، وما أجراه المستعرب الشهير الكونت de Landberg في معجم اللهجة الدثينيّة . ولوجودنا اثناء تحبيرنا هذه الاستدراكات مثالاً حسياً ، بين عشرات بل مئات من الأمثال ، في مفردة « التلميذ » التي نحن في صدد تحقيقها ، لا نرى مندوحة من اشباع الكلام فيه ، وان شق ذلك على من لا تلذ لهم هذه الأبحاث ، اوالذين لا يتعدى بحثهم نطاق العربية ، او السريانية .

وارد في « رسالة الألفاظ السريانية » ان : « التلميذ معربة عن « تلميذا »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السريانية ، وان لا أصل لهذا الحرف في العبرية . وانما هو سرياني اصله من Lmad اي جمع وأضاف » .

أما نحن فنقول ان الكلمة ساميّة ، لورودها في كل اللغات السامية وفي ضمنها العبرية ؛ وان الرس الأولي فيها ليس من السريانية ، بل من العربية التي لها الفضل العميم والتفوق الرفيع على سائر أخواتها ، لغناها بالأصول البدائية . وقبل تبيان ذلك بالتنسيق والتعليل نسرد مختلف معاني المادة في هذه الألسن ، لتكون مجالاً للتحقيق .

السريانية Lmad : جمع ، أضاف ـ Talmèd : هذب ، علّم ـ Talmîdâ : طالب ، متعلم ـ (منّا ٣٧٨ ؛ P-S 1953 ss) الارمية : Talmidâ : طالب علم . (Jas. 1972 s) ـ المندائية : Tarmîdâ (بالراء بدل اللام) : تلميذ (P-1 1955) ـ العبرية : Lâmad : ضرب بالسياط ، عاقب ، روّض ، عوّد ، علّم ـ Malmèd : مهماز يضرب به للترويض . خاصة الحيوانات ـ Talmûd : تعليم ، نظرية ـ Talmîd : متعلّم ، دارس (Jas. 712 ; Ges. 756) ـ الحبشية : Lamada : تعود ، آلف ، واظب ـ Lumûd : متعوّد ، اليف ـ Lemâd : عادة ، طبع ـ Talmîd : دارس (Dil. 35) ـ الاكدية : Lamâdu : تعلّم ، عرف ـ Lamâdûtu : تعلُّم ـ Mulammidu : معلِّم ، استاذ ـ Talmidu : دارس (Bz;159 s M-A 485) ـ العربية : لَمَد : تواضع له بالذل . لمده : لدمه (مقلوب منه) ـ تلمذ له وتتلمذ : صار تلميذاً له ـ التلميذ : المتعلِّم العلم أو المهنة . (شرتوني ٧٩ ؛ و ١١٦٠) .

تنسيق وتعليل

١) الرسّ الثنائي ، مبدأ التطوّر المعنوي . في هذه المادة هو « لَدْ » العربي ، الدال على الشدة ، ولا سيما في الخصومة ، ويشبهه في الدلالة « لَثْ ولَطْ » (شر ١١٢٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢) من الثنائي « لَدْ » . اشتق « لَدَم » الذي معناه : ضرب بكلا اليدين . ومثله في الدلالة : « لتم ولطم » . (شر ١١٣٧ ، ١١٢٨ ، ١١٤٤) .

٣) مقلوب « لَدَم » في العربية « لَمَدَ » . وخصوصاً في العبرية Lâmad الذي فحواه الأصلي : ضرب بالسوط للاخضاع والتذليل ، ولا سيما الحيوانات ، قصد ترويضها وكسر شوكتها بالمهاز المسمى في العبرية Malmèd .

٤) من هذا الترويض الذي يتم بتكرار العمل نشأ مدلول التعوّد والتطبّع والتآلف . وبهذا المفهوم ورد Lâmad في العبرية ، و Lamada في الحبشية .

٥) من الترويض البدئي والتعوّد ، انتقل المعنى الى الترويض الأدبي ، أي التهذيب ، والتثقيف ، والتعليم ، والتدريس ، والارشاد . وهذا منطوق Lamâdu في الاكدية ، اي تعلّم ، عرف . و Mulammidu : معلم .

٦) في السريانية تتوّج الفعل بتاء . فجاء Talmèd ، على وزن « تَفعل » ، ومدلوله : هذّب ، أرشد ، علّم . وفي العبرية Talmûd تعليم ، نظرية . ومنه الكلمة الجاري تحقيقها والواردة في كل الألسنة السامية وهي « تلميذ » كما ذكر أعلاه .

٧) أما Lmad السرياني ، فرأينا انه يعني : « جمع ، أضاف : فهل هو يا ترى ، كما يقال في « الرسالة » اصل كلمة « تلميذ » ؟ من العسر ، والحق يقال ، ان نجد علاقة معنوية بين هذا الفعل ، وهذا الاسم . ان جميع المعاجم السريانية تورد Talmidâ في مادة Lmad ، الا معجم القرداحي ، فانه يفرق بينهما بوضعه Talmidâ في المادة المبتدئة بالتاء ، و Lmad في المادة التي فاؤها لام . (اللباب ٢ ص ٣٥ ، و ٦٢١) فذلك يعني انه لا يفترض اشتقاق Talmitâ من الفعل Lmad . وهذا ، على ظننا ، عين الصواب . لأن Lmad بمعنى : « جمع ، أضاف » صادر من الثنائي « لَمْ » بزيادة الدال ، ومفهومه : جمع وضم (منا ٣٧٧) . أما Talmidâ فهو وارد في الساميات باسرها . واشتقاقه طبيعي ، كما رأينا ، من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

«لَدْ ولَدَم» في العربية، ومن Lâmad العبري، الدال على الضرب، والترويض، والتعليم والتهذيب.

وأنت ترى كيف ان المقارنة السامية لا تتم ولا تفيد شيئًا يذكر، اذا أجريت بين السريانية والعربية وحدهما؛ وكيف ان تطبيقها على الساميات بأجمعها يزيل التضارب والتنافر، ويثبت المنطقية في الاشتقاق، المبتدئ من «الرَّس الثنائي» ويعود بالنفع الجزيل على المعجمية السامية عمومًا، وعلى المعجمية العربية خصوصًا.

* * *

ث) اصل كلمة «ختن» (م – ج ٢٣ ص ٤٩٠)

ورد في «الرسالة» المذكورة مايلي: «ختَن: صهر الرجل المتزوج بابنته او اخته. قال ابن سيده (٣ : ١٥٢). هو حرف سرياني Hatnà. والفعل Hattèn: خاتنَ، صاهرَ. والمصدر Hatnûtò (ح): مخاتنة».

قلت: من المؤسف ان هذا الرأي قائم على شفا جرف هار. والقضية ليست بهينة، بل تتطلب تقصيًا عميقًا يُتجنَّب فيه التسرّع في الحكم، وقبل انعام النظر في الموضوع، دونك مواد البحث كما هي واردة في اللغات السامية: السريانية: خالية من المجرد الثلاثي. وفيها «حَتَنا»: ختن، صهر، عريس. Hattèn: خاتنَ، صاهرَ. eth hattèn: صاهر، تزوّج. (منا ٢٧١ ي) ـ العبرية: خَتَنْ: ختَنٌ، حمو ـ Hôtèn (خ) زوّجَ ابنته، تصاهر. Hihattèn: تصاهر. Hôtan (خ) صهرٌ، ختنٌ، زوج البنت، عريس، ذو قربى (Bw. 368 , Ges. 539) ـ الاكدية: Hatânu (خ) قطع، حمى. Hutnu (خ): حماية. Hatânu (خ) ختَن، صهر، حمو. Hutnu (خ): سكين، مومى ـ (Del 290 ; Bz 199) ـ في الحبشية: لا وجود لهذه المادة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربية : ختَنَ الشيءَ : قطعه . ختَنَ الغلامَ : قطع قلفته . اسم الفاعل : خاتِن . اسم المفعول : ختين ومختون . خاتَنَ : صاهرَ . المصدر : خَتن وختان . ودعوة الختان . الختانة : حرفة الخاتِن . الختَن : الحمو . وكل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والعم والأخ . والختَن أيضاً : زوج ابنة الرجل ، او صهره ، وأصل المعنى في هذه المادة : القطع . (لسان ١٦ ـ ٢٥٩ ي)

تنسيق وتعليل

١) ان الرسّ الأصلي لهذه المادة هو في العربية وحدها ، دون بقية اخواتها السامية . وهذا الرسّ هو الثنائي «خَتْ» المراد به : طعن بالسنان متداركاً (شر ٢٥٦) . وهو بدء المعاني المتطورة . وفي الطعن قطع .

٢) توسّع الثنائي « خَتْ » بزيادة النون تذييلاً . فنجم عنه الثلاثي « ختَنَ » . ومعناته الأولى : قطع ، من باب الاطلاق . وهذا مدلول القطع وارد أيضاً في الاكدية في كلمة Hatânu (خ) ومنه Hutnu (خ) سكّين ، مومى ، أي آلة القطع . ثم دل في الاكدية أيضاً على الحماية . لأنها متوقفة على منع ، أي قطع الأذى من أن ينزل بالشخص المحميّ .

٣) لكن ، في العربية وحدها ، جاء من باب التقييد ، الفعل « ختَنَ » بمعنى : قطع القلفة . والفاعل او المحترف : خاتِن . والمفعول او المحمل العلميّة : ختين ومختون . واسم العمل : الختن والختان . ثم الدعوة أو الوليمة بمناسبة الختان . والختانة : حرفة الخاتن . وورد في السبئية : « مَختَن » : دار الختان .

٤) كل هذه الفحاوي المتضمنة في فعل « ختَنَ » ومشتقاته لا وجود لها في العبرية ، ولا في السريانية ، ولا في الحبشية . لأن الفعل المستعمل في العبرية للدلالة على الختان هو Mûl ، والختانة Mîlah ، والخاتن Môhèl (Bw 756 s) . وفي السريانية ينظر الى فعل ختَنَ Gzar ، والختانة Gzurtâ ، والخاتن Gâzôrâ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(منا ١٠٢ ي) كذلك في الحبشية لا اثر لفعل « ختن » فان الوارد فيها هو فعل Kasaba (مقابله في العربية : كسَف) (Dil. 343) و Gazara (Dil.1191) (ينظر اليه في العربية فعل « جزر ») وكلاهما بمعنى : ختَن .

٥) في العربية يطلق اسم « الختَن » على ابي الزوجة . وعلى كل من كان من قبل المرأة ، مثل العم والأخ . ويراد به أيضاً : زوج ابنة الرجل ، او صهره . ومنه صدر فعل : ختن ، صاهر .

٦) في العبرية ، وردت لفظة Hatan (خ) دالةً ، كما في العربية ، على الحمي ، او ابي المرأة . و Hôtan (خ) بمعنى الصهر ، او زوج بنت الرجل ، والعريس ، والمختون . أما السريانية ، فلا يوجد فيها الا كلمة Hatnâ (ح) بمدلول الختن ، والصهر . ومن Hatnâ (ح) اشتق ، ارتجالاً ، المزبدان Hattèn (ح) و eth hattèn (ح) ختن ، صاهر ، تزوج . أما ابو المرأة فيقال له : Hèm او Hmâ : حمو (منا ٢٤٦) .

٧) في الاكدية يطلق Hatânu (خ) على الحمي والصهر معاً . أما الحبشية ، فلم يرد فيها أدنى صيغة من هذه المادة ، بمعنى الحمي والصهر . لأن المستعمل فيها هو « مَرعَاوي » : صهر ، عريس . ومؤنثه « مَرعَات » : عروس (Dil 310) و « حَمْ » بمدلول الحمي (Dil. 77) .

٨) كل هذا يدلك على ان المادة هذه قد بدأت فى العربية وحدها ، وتوسّعت ، بطريق التطوّر التام المنطقي ، من الثنائي « خَتْ » الى آخر المعاني لفعل « ختن » ومشتقاته . وتماثلها الاكدية في ذلك بعض المماثلة . أما العبرية ـ ولا سيما السريانية ـ فالتطوّر فيها ناقص . اذ لا فعل مجرد فيها يدل على الختان .

٩) ولمعترض ان يقول : اية مناسبة بين « الختان » وبين رابطة القرابة الأهلية بين الأسر ؟ الجواب على هذا هو ان التأريخ يفيدنا كثيراً في شأنه . لأنه يعلمنا ان « الختان » كان عند أغلب قدماء الشعوب من الشروط الضرورية لدخول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المرء في الحياة الاجتماعية ، ومن الأمور الممهّدة للحياة الزوجية . فكان يجري قبل الزواج ، وكان الآب ، او رب البيت يقوم بهذا العمل . وشاهد ذلك عمل ابراهيم الذي ختن هو ذاته ابنه اسماعيل ومن كان في بيته .

١٠) وكان من حقوق الأب الاشتراط على من تخطب ابنته ان يختتن قبل زواجه . ولما كان الأب هو الخاتن ، او الملزم بختان صهره ، دعي في العبرية والعربية « ختناً » او قل « خاتناً » .

١١) واذ كان خاطب بنت الرجل او صهره ملتزماً ان يكون مختوناً قبل زواجه ، سُمّي هو أيضاً في العربية والعبرية (وفي هذا وافقتها السريانية) ، وفي الاكدية باسم « الختَن » بمعنى « الختين او المختون » .

١٢) ومن يعرف العبرية ويطالع الكتاب المقدس ، يجد التأييد لما بسطناه في كثير من المواطن . من ذلك ورود Hatan (خ) في النص العبري ، بمعنى « الحمي » في الآيات التالية : خر ٣ : ١ ؛ ١٤ : ١٨ ؛ ١٨ : ١ – ٥ . قضاة ١ : ٦ ؛ ٤ : ١١ – وجاءت كلمة Hôtan (خ) بدلالة الصهر ، في هذه الآيات الأخر : تك ١٩ : ١٢ ؛ خر ٤ : ٢٥ ؛ قضاة ١٥ : ٦ ؛ ١٩ ؛ ٥ اسمو ١٨ : ١٨ ؛ ١٢ : ١٤ .

١٣) ومن باب التوسع ، شمل اسم « الختَن » غير افراد من العائلة ، كالعم والأخ ، لا بل ان جميع أقارب المرأة يدعون « أختاناً » بالنسبة الى الصهر ، أو زوج بنت الرجل .

فأين من كل هذه الحقائق ما ورد في « رسالة الألفاظ السريانية » من أن « ختَنَ » حرف سرياني Hatnô (ح) ؟ ومرادها بذلك انه دخيل في العربية من السريانية .

راجع المصادر الآتية :

Hastings , dic. of the Bible I , 442 s
Vigouroux , dic. de la Bible , Vol. II , c. 772 s.s
J. - A Barton , A Ketch of semitic origins , p. 98 s. s.
Robonson Smith ' Religion of Semites 2 ed p. 175
Wellhausen , Reste arabischen Heidentums , 2 ed p 175

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ج) الحواريون (م – ج ٢٣ ص ٤٨٨ ي)

هذه الكلمة – قرآنية كانت أم غير قرآنية – ليست بمشتقة من «حَور» الدال على البياض؛ ولا تطلق على قوم كانوا قصارين، أو ملوكاً، أو أنقياء القلوب، او أنصاراً، أو صحابة؛ ولا هي آتية من كلمة Héwâré (ح) السريانية. لأن هذه وصف استغني به عن الموصوف (وهو Lbûshé البسة) فقام مقامه دالاً على الثياب التي كان يلبسها المعمدون الجدد؛ ومن ثم لا مسوغ لترجمتها بكلمة «الحواريين». كما لايجوز أيضاً ترجمة Shabtâ d'héwâré «باسبوع الرسل»، كما ورد في طقس الموارنة. لكن الترجمة الصحيحة هي «اسبوع البيض». كل هذا لأن مفردة «الحواريين» حبشية، وهي Hawâreya (ح) جمعها Hawâreyât (ح)، ومعناها «رسول جمعها رسل» وبنوع خاص «رسل المسيح».

هذا ما كنا قد بسطناه وشرحناه شرحاً وافياً في كتابنا «المعجمية العربية» (ص ٢١ – ٣٥). أما كيفية اشتقاق الكلمة في الحبشية، فدونك ما اوردناه في مجلة «الأديب» البيروتية (آذار ١٩٤٤)، في تضاعيف ردنا على الأب الكرملي والشيخ العلائلي: «ان الثنائي «حَرْ» هو اصل لفظ «الحواري». وهذه المادة واردة في اللغات الثلاث، العربية، والسريانية، والحبشية. بيد ان هذا المعنى الأصلي لم يتطوّر على سياق واحد في كل هذه الألسن. ففي الحبشية نرى «حَرْ أو حَار» يبدأ بمعنى الحركة، ويسير بفحوى الذهاب، ويتابع سيره بدلالة السفَر. فيصاغ منه اسم فاعل حسب القواعد الحبشية عينها. اي على وزن «فعالي» بمدلول مسافر. وهناك في هذا الوزن ازدان بمفهوم حديث. فمن مسافر بنوع عام، أضحى مسافراً بنوع خاص، اي مبعوثاً؛ ومن مبعوث، أصبح مبعوثاً ممتازاً، أعني سفيراً. ثم جاءت اللغة الدينية النصرانية. فاتصف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيها باصطلاح جديد ، وهو اصطلاح الرسالة الروحية من قبل المسيح لتلاميذه الاثني عشر . فأطلق عليهم لسبب هذه الرسالة ، فأضحى « حواري » دالاً على « رسول المسيح » و « حواريات » جمعه ، على « رسل المسيح » .

أما في العربية فقد سار الحرف « حَرْ أو حار » بمدلول الحركة ، ثم الذهاب ، ثم الرجوع ، ثم التحول الى النقصان . ووقف عند باب « سافر ومسافر » ولم يلجه ، وبأولى حجة لم يتعدّه الى المعاني الأخر . فانقطع التطور ، أو اتخذ وجهةً مختلفة . كذلك في السريانية ، من « حَرْ » جاء « حار » بمعنى توجّه ، توقّع ، قصد . وانقطع السير عند هذا الحدّ . اذاً مفردة « حواري » بمعنى : « رسول » من باب الاطلاق ، و « رسول المسيح » من باب التقييد ، لا يمكن ان تكون الا حبشية . لأن الرس « حَرْ » سار فيها وحدها ، خلافاً للعربية والسريانية ، سيراً متتابعاً ، غير منقطع ، في سبيل التطوّر ، حتى بلغ مدلول « رسول المسيح » . فاذا وجدنا « حواري » في العربية ، فلا محالة انها دخيلة فيها من الحبشية .

هنا نلاحظ انه ، ان وجد المؤلف في رأي نولدكي « اصابة وجودة » ، فلا مندوحة بعد للقول ، في الوقت عينه ، ان اللفظة معربة عن Héwâré (ح) السريانية . ثم نضيف الى ذلك ان نولدكي ليس أول من قال بحبشية « الحواري » . فقد سبقه الى هذا الرأي ستَسيم (Sémitisant) الماني آخر ، كما أقر بذلك نولدكي عينه . وهذا السابق هو Ludolf المولود سنة ١٦٢٤ ، والمتوفى سنة ١٧٠٤ . وكان مُستَحبِشاً (éthiopisant) اختصاصياً بارعاً . وكان يعرف خمساً وعشرين لغة .

(راجع Larousse du xxe siècle , Vol , IV , P. 545

وكتاب نولدكي المعنون - Neue Beitrage Zur semitischen sprach Wissenschaft, P.48, اي « اضافات جديدة الى دروس الألسنية السامية »

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ح) لَبَّيك

(م – ج ٢٥ ص ٨)

هذه المفردة ليست من السريانية ، بل بالعكس الظاهر انها هي عينها دخيلة في السريانية من العربية . وقد كانت مستعملة في عصور الجاهلية ، وبقيت في الاسلام ، وما زالت كثيرة الورود في الكلام الفصيح ، وفي اللهجات المختلفة ، ولا سيما في اللهجات الجنوبية . ولتوغلها في القدم ، ومن ثم لغموض معناها ، قد اختلف اللغويون في اشتقاق أصلها واعرابها .

زبدة آرائهم هي انها مشتقة من « لب في المكان وألب » : أقام به ولزمه . والقول « لبّيك ولبّيه » ناجم عن ذلك ، اي لزوماً لطاعته . قال الخليل : هو من قولهم : دار فلان تلب داري ، اي تحاذيها . والياء للتثنية ، وفيها دليل النصب للمصدر . وقال سيبويه : انتصب « لبّيك » على الفعل ، كما انتصب سبحانَ الله . وقد ثنّي على التوكيد ، أي إلباباً بك بعد الباب ، واقامة بعد اقامة . وزعم يونس ان « لبّيك » اسم مفرد بمنزلة عليك . ولكنه جاء في هذا اللفظ على حد الاضافة . (اللسان ٢ – ٢٢٦ ي ؛ سيبويه ١ – ١٤٧ ي) .

وهذه أمثلة على ورود « لبيك » في الجاهلية والاسلام :

« أتت الجارية الوادي ، فصرخت به . فسمع صوتها . فقال مجيباً لها لبّيكِ ، قريباً دعوت » . (ديوان حاتم طي ، طبعة Schultess ص ٣٩) .

قال أمية بن ابي الصلت : « لبّيكما ، لبّيكما » ها انا ذا لديكما (اي ملاكي الموت)

(شعراء النصرانية ص ٢٢٥)

« اذ كانوا على مسيرة يوم من تهامة ، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الاسدي . فقال : يا عباد . قالوا : لبّيك ربنا . » (ابن قتيبة ص ٣٧)

« فنادي الرسول : يا كعب . قال : لبّيك ، يا رسول الله » .

(بخاري ٢ ص ٩٥)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« قال : بينا انا رديف النبي ... فقال : يا معاذ . قلت : لبّيك رسول الله ، وسَعدَيك » (بخاري ٧ ص ١٧٠) ـ لبّى : قال : لبّيك . في صدر الاسلام ، كان يلبّي الملبّي ـ كانوا يلبّون بالحج . (باب التلبية ، بخاري ٢ : ٢٠ ، ٤٨ ، ١٣٧) كانت تلبية النبي : « لبيك ، اللهم ، لبيك ، لا شريك لك ، لبيك » .

نظرة في أصل اشتقاقها :

اذا تقصينا أصل هذه الكلمة الغامضة المعنى والاشتقاق ، رأينا انها قديمة جداً ، ودالة على ما كان الساميّون يجرونه من الأعمال في غضون عبادتهم للقمر . والى اليوم هذه المفردة متداولة على الألسن في جنوب بلاد العرب . وليس الفعل « لبّى » مرتجلاً ، كما في الفصحى ، من لفظة « لبيك » ، بل هو اصلي ، ومراده : « ساعد ، اعان ، اغاث » . على اننا نعلم من الناحية الأخرى ان قدماء العرب كانوا يعتقدون ان القمر ، في الليالي الأخيرة من الشهر ، يقع في ضيقة ، لشدة الضغط النازل عليه من قبل « تهامة » اي البحر . وهي الكلمة الاكدية التي استقرضها العرب ، ولا سيما عرب الجنوب ، عند أخذهم عبادة القمر عن الاكديين ـ البابليين . كما ان هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة Tehôm فكان العرب يصرخون ، إذ ذاك : لبّيك ، لبّيك » موجهين الكلام الى القمر ، كأنهم يقولون له : ساعدك ، او أغاثك ، او فليساعدك ويغثك الآلهة مردوخ ، منجياً اياك من « تهامة » . ولنا دليل في ان « لبّيك » يراد بها الاغاثة والمساعدة ، ان هذه الكلمة يتبعها لفظة أخرى وهي « سَعْدَيك » . فقد أشار سيبويه الى ذلك بقوله : (الكتاب ١ : ١٤٨ طبعة باريس) : « حدثني ابو الخطاب انه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يقلع عنه : قد ألب فلان على كذا وكذا . وقد اسعد فلان فلاناً على أمر وساعده . والإلباب : المساعدة » . وكما ورد اعلاه عن البخاري ، في جواب معاذ للنبي : « لبّيك ، رسول الله ، وسَعْدَيك » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولنا شاهد آخر في فعل «أهلّ، واستهلّ» اي رفع صوته . فيقال : استهل الصبي بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة . وكل شيء ارتفع صوته ، فقد استهلّ ، والاهلال في الحجّ : رفع الصوت بالتلبية . وأهلّ المعتمر : اذا رفع صوته بالتلبية . وانما قيل للاحرام اهلال ، لرفع المحرم صوته بالتلبية . الهلال : اسم القمر لليلتين من أول الشهر ، ولليلتين من آخره . وأهلّ واستهلّ الشهر : ظهر هلاله . وسمّي هلالاً ، لأن الناس يرفعون أصواتهم بالاخبار عنه » . (اللسان ١٤ : ٣٢٧ ي ي) .

كل هذا ، كما قلنا اعلاه ، لأن القوم يدعون للقمر بالنجاة من تهامة ، فكانوا يصرخون ، كما تصرخ النساء في عصرنا ، في الأعراس والولائم بالزغاريد ، أي بترديد اللسان في الفم ، فيصدر عن ذلك اسم الصوت « هَلْ هَلْ » ولهذا تدعى الزغاريد في العراق « هَلاهِل جمع هَلهُولَة » ومن هذا الصوت صيغت الأفعال « هَلّ ، وأهلّ ، واستهلّ » وقد استمرت هذه العادة القديمة بين عامتنا الجهلة في فرصة كسوف القمر ، لاعتقادهم الخرافي أن حوتاً يبتلعه . فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الأواني النحاسية كالقدور والصواني وغيرها ، تهويلاً لهذا الحوت المزعوم ، فيضطر الى قذف القمر المسكين من فيه ، وبذلك يزول الكسوف ، على ظنهم ، ظن الغباوة .

وهذه العادة عادة التلبية ، او الاغاثة للقمر ، التي كانت من فروض العبادة في العالم القديم ، قد بقيت في مواسم الجاهلية العربية ، ثم تطورت دلالتها ، فأخذت تطلق على الاجابة ، والطاعة ، والتهليل ، والتسبيح ، والتعظيم .

أما الصيغة فيمكن القول بانها ليست من باب التثنية والنصب ، كما هو الرأي السائد ، بل هي ضرب من اللفظ القديم « بالامالة » على مثال الوارد في اللهجات ، مثلاً : « ناديه ، توفيه ، استهويه ، صريط ، مشكية ، كيفرين » المقابلة للفصيح « ناداه ، توفّاه ، استهوَاه ، صراط ، مشكاة ، كافرين » . وعلى تعاقب الأزمان ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثبت في اللغة الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة ، كقولك : « رماه ، وقاها ، دعاك ، وهكذا تكون « لبّيك وسَعْدَيك » من الآثار اللغوية القديمة التي بقيت في اللغة ، وتقابل « لبّاك وأَسْعَدَك » والله أعلم . (راجع كتاب « دئينة » ، القسم الثاني ، ص ٢٧١ ي ي ، للمستعرب de Landberg الذي دعمنا رأينا بشيء من شواهده) .

* * *

خ) بابوس (م – ج ٢٣ ص ٣٢١)

هذه اللفظة واردة في العربية والسريانية على وزن « فاعول » . ودلالتها تكاد تكون واحدة في كلتيهما . فمعناها : « طفل ، صبي ، رضيع ، وزادت العربية : ولد الناقة ، او الرضيع من أي نوع كان » . فهل الكلمة سريانية ام عربية ؟ في نظرنا هي من السريانية . وقد أصاب « مؤلف الرسالة » في ذهابه الى سريانيتها ، وانكاره روميتها ، أو عربيتها ، خلافاً لمزاعم الأقدمين .

لكن مما يستغرب ان صاحب هذا الرأي – وهو ابن بجدتها وفارس حلبتها – لم يعلل صوابية القول بسريانية الكلمة . أما نحن فندعم مذهبنا القائل بسريانية « البابوس » بما يعرفه كل ملمّ باللغة السريانية ، فضلاً عن القابضين على أعنة أسرارها ، من الوارد في كتب « القَواعِدِيّة » السريانية Grammaire) (Syriaque ، في باب التصغير . ولذا نقول ان أصل « بَابُوس » هو « باب ، أو بابا » من المادة العبرية Nâbab : قعر ، جوّف . (Bw 612) . ومفهوم « باب » : منفذ . وهو الثقب الدقيق الواقع في وسط العين . والذي فيه يرى الناظر صورة « انسان صغير » . ولهذا سمّي « انسان العين ، او البؤبؤ ، او البيبي » في العربية . و « باب او بابا » في السريانية ، كما يدعى أيضاً Pupille في الفرنسية ، و Pupil في الانكليزية .

على ان من ادوات التصغير في السريانية ، أولاً : الأداة « أونا » تلحق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آخر الاسم . فيقال من « باب » « بابونا » : طُفَيل . وهناك اداة أخرى تستعمل للتصغير كالأولى ، وهي « أوسَا » . فيقال من « كلبا » ، كلبٌ ، « كَلبُوسَا » كُلَيبٌ . ومن « باب » ، « بَابُوسَا » ، طُفَيل ، وُلَيد . ويجوز جمع الأداتين معاً ـ وان كان ذلك غير مانوس ـ فيرد من « أخا » ، أخ ، « أخوسُونَا » أُخَيّ . ومن « باب » ، « بَابُوسُونَا » : صُبَيّ . كما يقال من « طَلَيَا ، طَلَيُونَا ، طَلَيُوسَا ، طَلَيُوسُونا » : طُفَيل .

ومن هنا يستدل على ان اللفظة « بابوس » سريانية محضة . لأنها على صيغة التصغير في السريانية ، ولأن السين المسبوقة بضمة مشبعة هي الأداة المستخدمة لهذه الغاية . وكل هذا لا أثر له البتة في العربية . فالمفردة اذاً دخيلة فيها من السريانية . ومن هذا أيضاً يبين سقم زعم صاحب « محيط المحيط » المدعي ان الكلمة « فارسية الأصل » .

(راجع Clef de la langue aramèenne , Par Mingana , p 111 (محيط المحيط) ١ — ٥٩ ; P - S. C . 442 s ; Ges . 840 s ;

* * *

د) عَرْش

(م — ج ٢٤ ص ٣٢٤)

ان كلمة « عَرْش » ليست واردة في السريانية ، والعبرية ، والعربية فقط — وذلك حسبما وجدها المؤلف في معجم « برون » السرياني ، بل هي سامية ، ولها ذكر ، بمعزل عن الألسن المسفورة ، في الحبشية « عَرَسْ » : خيمة (Dil 960) ، وفي الاكدية Irshu (أصلها عِرشُو) : سرير ، مضجع (Bz 71) ، وفي العبرية الحديثة « عَرِيشا » مهد . وفي التلمود « عَرْسَه » : منام . وفي التدمرية « عَرْسَا » (Br 549 ; Bw 793) .

أما العربية فقد جاء فيها « عَرْش وعريش » . والمعنى الأصلي البدائي مستقصى فيها دون غيرها ، لاحتوائها على « الرس الثنائي » المشتقة منه اشتقاقاً طبيعياً ، منطقياً ، كل المعاني المتشعّبة . وهذا الثنائي هو « عَشْ » الدال على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الضمور والدقة واليبس . من ذلك « عشّ » بدنه : نحل وضمر . و ـ النخلة : قلّ سعفها ودق أسفلها . و « عشّش الكلأُ والأرضُ يبسا ؛ و ـ الخبزُ : تكرّج ويبس . وعَشَّ الطائرُ : اتخذ عشّا . والعُشّ موضع الطائر يجمعه من دقائق الحطب في أفنان الشجر (اللسان ٨ — ٢٠٦ ي) .

توسعت فكرة الدقة واليبوسة باقحام الراء في الثنائي « عَشْ » فأصبح « عَرَش » (تاج ٤ ـ ٣٢١ ي) اول معاني « عَرش » : رفع دوالي الكرم على الخشب ، وفي الخشب دلالة اليبوسة والصلابة ؛ و ـ بنى بناءً من خشب ، و ـ الدوالي : ارتفعت على الخشب . وعرش الطائرُ : ارتفع وظلّل بجناحيه مَن تحته . وعَرَّش البيتَ : سقفه . ومن « عرش » اشتق العريش . وهو ما عرّش للكرم . و ـ شبه الخيمة من خشب وثمام . و ـ البيت يستظل فيه . و ـ الهودج . ومنه أيضاً « العَرْش » : سقف البيت ، او الخيمة ، او بيت من جريد يجعل فوقه الثمام . والعَرش : المظلة ، وأكثر ما يكون من القصب . وعرش الطائر : عشّه . ومنه أيضاً « العَرش » : سرير الملك . ومجازاً : العز . (اللسان ٨ : ٢٠٣ ي ي)

ومن ذلك ورد في بقية اللغات السامية « العَرْش » بمعنى السرير ، والمنام ، والمنصة ، والنعش ، والمهد . وفي جميعها فكرة الصلابة المتصف بها الخشب ، او فكرة الشيء المصنوع من خشب ، او فكرة المرتفع على الخشب ، كالمظلة ، والخيمة ، والسرير ، والمنصة المرتفعة ، وأخيراً : السموّ والعزّ . وأنت ترى نقص المقابلة بين لغتين وحدهما ، وفائدة الثنائية والمقارنة الألسنية ، اي بين سائر الألسن السامية . وبهذا فقط يمكن تتبّع التطوّر المعنوي ، في مختلف صور المادة الساميّة الأصل . وفي خلال كل هذه الأبحاث يتجلّى تفوق العربية على اخواتها . نكتفي الآن بهذه النماذج التي بسطناها للقراء الكرام ، ليعرفوا كيفيّة بحثنا ونقدنا لتأصيل الألفاظ المجموعة في مقالتنا الضافية ، والسلام .

(القدس) الأب مرمرجي الدومنكي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net